

دراسات الأدب المعاصر، السنة التاسعة، ربيع ١٣٩٦، العدد الثالث والثلاثون: ص ٩١ - ١٠٣

دراسة مقالة «نحن وأنتم» من كتاب العواصف

بتول محسنى راد*

تاريخ الوصول: ٩٥/١٠/١٦

تاريخ القبول: ٩٦/٢/١٠

الملخص

يصور جبران في هذه المقالة فئتين المتضادين في المجتمع البشرى. فئة الاولى أو أبناء الكآبة هم بناء الحضارة، وفئة الثانية أو أبناء المسرات، هم الذين تاريخهم بكامله هو تاريخ العنف والحرب وإراقة الدماء. عنوان مقالة جبران يدل على الثنائية مفارقة وتضاد بين الكآبة والمسرات أو بين الخير والشر. جبران في آثاره يميل إلى التفاصيل والجزئيات وهذه من ميزات الفكر التحليلي. ونستنتج في هذه المجموعه إن الكآبة فى رأى جبران ناجمة عن الألم ولكنه ألم مبدع خلاق وتتصف بالتأمل والمراقبة. هذه المجموعة تحمل رسالة اجتماعية وغرض جبران منها اصلاح المجتمع البشرى. نلاحظ التوازن فى المقاطع وفى الجمل، والايقاع فى التكرار وفى التعليل. رؤية جبران خليل جبران تتغير بالنسبة للمفاهيم من زمان إلى آخر.

الكلمات الدليلية: الثقافة، المجتمع، بناء الحضارة، مدمرو التاريخ.

* عضو هيئة التدريس فى قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة سيستان وبلوچستان، زاهدان، ايران (أستاذة مساعدة).

المقدمة

جبران خليل جبران نابغة الكتاب المعاصرين وأحد رواد النهضة في المنطقة العربية. يعتبر جبران شخصية فريدة في الأدب العربي الحديث وكبار الأدباء الرمزيين في المهجر الأمريكي. ألف جبران كتبا كثيرة منها كتاب «العواصف». اضطلع برسالات اجتماعية إصلاحية غايتها، بناء مجتمع سالم تسوده العدالة والحب، يضمّ هذا الكتاب مجموعة مقالات ومنها مقالة «نحن وأنتم». صور جبران في هذه المقالة فئتين متضادين: فئة الاولى أو أبناء الكآبة، هم بناء الحضارة وتاريخ الانسانية ومبدعو الجمال والعواطف السامية، أمثال المسيح الذي نصر الروح فصلّبه اليهود، وسقراط الذي أسس الفلسفة فأعدمه بالسمّ حكام أثينا. وعلى بن ابي طالب شخصية فريدة وأسوة إنسانية في تاريخ البشرية والذي اغتيل.

فئة الثانية أو أبناء المسرات مقابل أبناء الكآبة والذين تاريخهم بكامله هو تاريخ العنف والحرب والقتل وإراقة الدماء. ومدمروا تاريخ وحضارة الإنسانية.

جبران في مجموعة «العواصف» صديقا للناس يحزن لما هم فيه من حزن وضعف واستكانة للأمر الواقع، ولم يستطع اخفاء روحه الحزينة من كتاباته، مازالت روح الحزن تطوف كلماته، سيما في «نحن وأنتم» يسعى هذا البحث لتعرف على شخصية جبران، افكاره، لغته، ثقافته ونجيب على هذه الأسئلة:

ما هو غرض جبران الأهم في هذه المقالة؟

ما معنى الكآبة في هذا النص؟

من هم أبناء الكآبة؟ ومن هم أبناء المسرات؟

بغية الإلمام بجوانب البحث والإحاطة بالموضوع، حاولنا الاعتماد على منهج الوصفى - التحليلي.

بطاقة جبران

جبران خليل جبران شاعر وقاصّ وفنان وأديب لبناني، ولد في بشرى في السادس من كانون الثاني ١٨٨٣م. درس جبران فن الرسم في الولايات المتحدة، وتعمّق في دراسته

عندما سافر إلى فرنسا وكان إضافةً إلى كونه فناناً بارعاً أديباً وقاصّاً متميزاً صاحب مدرسة أدبية تحمل لونا خاصاً (البستاني، ١٩٨٥: ٩٥).

المناخ الاجتماعي والسياسي والفكري

مثلت البيئة اللبنانية الطبيعية والاجتماعية والسياسية، المصدر الأساس الذي استمدت منه جبران مادةً منتجةً الادبي باللغة العربية، بالرغم من كونه لم يمض سوى سني طفولته (١٩٨٣-١٨٩٤).

البيئة الطبيعية: تمثلت بشمالى لبنان، ولاسيما بشرى ومنطقتها: وادى قاديشا، سلسلة الجبال الغربية، ففي جبال لبنان التي لا نظير لها بين الجبال تفتحت عبقريته (ميخائيل نعيمة، ١٩٩٥: ١٧).

الوضع السياسي: كان لبنان فى المرحلة التي عاش فيها جبران، يخضع لنظام المتصرفية، وقد اقتطعت منه مناطق طرابلس وعاكار والقلمون والبقاع وبيروت وصيدا (نبيل أيوب: ٢٠٠٦: ١٩٥).

الوضع الاجتماعي: خضع لبنان إلى النظام الإقطاعي وعند ولادة جبران يخضع لنظام المتصرفية. المفروقات الطبقيّة الاجتماعية: الأرستقراطية والعاملّة؛ الغنية والفقيرة (همان).
الوضع الثقافي والفكري: كان معظم اللبنانيين من الأميين، إلا قلة من المقتدرين من أبناء الحلف الإقطاعي (همان).

ولا عجب أن عبّر عن حبة العواصف إذ قال لها: «أول لحظة عظيمة أذكرها فى حياتي هى العاصفة؛ وكنت يومها ابن ثلاث سنوات، مزّقت ثيابي، وخرجت أركض، وأمّي تلحق بي وقد كان يصرخ: أحب العواصف أحبّها» (نبيل أيوب، ٢٠٠٦: ١٩٦).

ثقافة جبران

ثلاث بيئات عاش فيها جبران، وأثّرت فى شخصيته وأدبه، وهى لبنان (أحبّه جبران حبّاً يقارب الهيام). ألم جبران بمناحي النهضة الثقافية والأدبية فى لبنان وما رافقها من تأسيس جامعات ومدارس إرساليّة، وإصدار صحف ومجلّات، ووضع موسوعات ومعاجم، وكان له موقف من النهضة يظهر واضحاً فى مقابله الصحفية «مستقبل اللغة العربية» من كتاب «البدائع والطرائف». تنوّعت ثقافة جبران وتعدّدت، وكانت مصدر تكوّنه الجدلى؛ إذ

قامت في أناة حتى باتت تتنازع في ذاته إحيانا، من غير مصالحة بعضها مع بعض؛ وذلك قبل أن تتبلور وتكوّن له رؤيته الخاصة إلى العالم (مترى بولس، ٢٠٠٩: ٢٩٤).
الولايات المتحدة الأميركية: عاش جبران ردحا طويلا من عمره في مدينة نيويورك (١٩٣١-١٩١١). تضم هذه المدينة أكبر جالية لبنانية في الولايات المتحدة الأميركية ففيها المؤسسات التجارية والمطابع والجرائد والمجلات اللبنانية. يلتقى جبران كبار الفنانين والشعراء الامير في نيويورك. تمتاز هذه المدينة بروح ديموقراطية تنزع إلى الحرية والمساواة، وهي أيضا نقطة التقاء تيارات الفكر العالمي من هندية وبهائية وإنكليزية وفرنسية. وقد استطاع جبران، بمساعدة أصدقائه من الأميركيين المثقفين (همان).

فرنسا: بيئة ثالثة أحبّها جبران هي البيئة الفرنسية الباريسية. فمن يطلع على رسائله قبل ذهابه إلى فرنسا يدرك مدى إعجابه بالحضارة الفرنسية، وإعجابه بالأدب الفرنسي إذ كان دائما يلهج بأسماء الأدباء والمفكرين الفرنسيين كما كان بالغ الإعجاب بالعمارة والآثار التاريخية الفرنسية مثل الوفر وقصر فرسايف؛ ويعتبر باريس ملتقى روائع العالم في الرسم والنحت والموسيقى والأدب والفكر والعلم (أنطوان غطاس كرم، ١٩٨٧: ٤٣).
تأثره بالأدب العربي القديم: اهتم جبران بالأدب العربي القديم وتضلّع، فطالع، أثناء دراسته في معهد الحكمة، نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب، وكتاب «كليله ودمنه» لابن المقفع، وكتاب «الأغاني» لأبي الفرج الإصهاني، و«مقدمة» لابن خلدون، وديوان المتنبي، والبهاء زهير، وابن سينا، والغزالي، وابن الفارض، وابن خلدون. وفي النشر فقد تأثر بالكتاب المقدس والأنجيل (جورج شكور، ٢٠٠٨: ٢٩٤).

الوعي بالمنتجات الأدبية والفكرية: الفارابي، ابن سينا، الغزالي، إخوان الصفاء، التصوف العربي وأعلامه، أبو العلاء المعري، ابن المقفع.

الغنائية حالة وجدانية يتفق لجميع الناس أن يمرّوا بها، وهناك غنائية في اللحن؛ وغنائية في الرسم، وقد جمع جبران في نثره هاتين الغنائيتين. وشقّ له مجرى سيره، بعد أن كان بحيرة يستقى منها الشعر المتراقص على ضفتيها. لقد نفخ جبران في النثر حركة فنيّة على نهج أسلوب مشحون بعوامل الترنّج وبهجة الغناء (حليم يازجي، ١٩٨٤: ٧٦).

بطاقة كتاب العواصف

«العواصف» (١٩٢٠م) كتاب يضم مجموعة مقالات كتبت منذ ما قبل الحرب العالمية الأولى، هزت الأوساط الأدبية في العالم العربي وفي أثنائها وبعدها، حتى تاريخ النشر. تنضوى تحت خمسة محاور، يظهر أولها: تأثر جبران بنيتشه، مثل «حفار القبور». الثاني: يبدى عقلية الشرقيين ويدينها مثل «المخدرات والمباضع». والثالث: يعبر عن آراء جبران الدينية انطلاقاً من الأوضاع في لبنان مثل «الشیطان». الرابع: يمثل عقيدة جبران السياسية والاجتماعية مثل «الجبايرة والعاصفة»، والخامس يتضمن مقالات وجدانية.

«نحن أبناء الكآبة، وأنتم أبناء المسرات

نحن أبناء الكآبة، والكآبة ظل إله لا يسكن في جوار القلوب الشريرة، نحن ذووا النفوس الحزينة، والحزن كبير لا تسعه النفوس الصغيرة.

أنتم لا تعرفوننا، أما نحن فنعرفكم. أنتم سائرون بسرعة مع تيار نهر الحياة، فلا تلتفتون نحونا، أما نحن فجالسون على الشاطئ نراكم ونسمعكم.

أنتم لا نغون صراخنا لأن ضجيج الأيام يملأ أذانكم، أما نحن فنسمع أغانيكم؛ لأن همس الليالي قد فتح مسامعنا.

نحن نراكم لأنكم واقفون في النور المظلم، أما أنتم فلا تروننا لأننا جالسون في الظلمة المنيرة.

نحن أبناء الكآبة، نحن الأنبياء، والشعراء، والموسيقيين، نحن نحوك من خيوط قلوبنا ملابس الآلهة؛ فنملأ بحبات صدورنا حفنات الملائكة، وأنتم أنتم أبناء غفلات» (جبران، ١٩٧٨: ١٠٤).

ثنائية تضاد

عنوان مقاله جبران يدل على الثنائية القائمة على ضمير الرفع المنفصل لجمع المتكلمين (نحن) مقرونا بضمير الرفع المنفصل لجمع المخاطبين (أنتم). مطلع المقالة يؤكد أن الثنائية المعلنة في العنوان هي ثنائية مفارقة وتضاد بين الكآبة والمسرات. والجدير بالذكر: أن الكآبة تدل على فرد وموحدة والمسرات على جمع ومتنوعة.

التضاد بين الضميرين «نحن وأنتم» كان تضاداً بنائياً فالمقالة تبدأ بهما وتنتهي بهما، وإنهما لشائعان بوفرة بين البداية والنهاية. على هذا الأساس يمكن اعتبارهما من الثوابت في المقالة. وكثرة عدد الخاص بجمع المتكلمين وإزاء هذا الإلحاح على الضمير الخاص

بجمع المتكلمين نستنتج أن الوظيفة التعبيرية المركزة على المتكلم جبران، أو الفئة التي يعتبر نفسه منها، أو الجماعة التي تنطق باسمها، بل التي جعلها تنطق باسمه وتعبّر عن عواطفه وأفكاره ورؤيته إلى الله والتاريخ والمجتمع، هي الوظيفة الأساسية في المقالة. حقلين مفهوميين: يعكسان بنيتها المتعارضة ويستقطبان مفردات متميزة ولكنها متقاربة المعنى. الحقل الأول: الخاص بالكآبة ومحوره الكلمة (كآبة) فهي الأكثر تواترا في هذا الحقل إذ تتكرر تسع مرات.

غرض جبران

إن غرض جبران الأهم في هذه المقالة هو إبداء ما يشعر وما يفكر فيه كواحد من أبناء الكآبة، بل كموحد لأبناء الكآبة استنادا إلى رؤيته الذاتية. تواتر ضمير جمع المتكلمين المرتفع هو تشديد على انتماء جبران وإيمانه بهذا الانتماء.

نحن نتنهّد، ومع تنهداتنا يتصاعد همس الزهور، وحفيف الغصون، وخيرير السواقي، أما أنتم تضحكون، وقهقهة ضحككم تمتزج بسحيق الجماجم، وحرثقة القيود، وعويل الهاوية. نحن نبكي ودموعنا تنسكب في قلوب الحياة، مثلما يتساقط الندى من أجفان الليل. في كبد الصباح، أما أنتم فتبتسمون ومن جوانب أفواهكم المبتسمة تنهرق السخرية مثلما يسيل سم الأفاعي على جرح الملسوع.

حقل الكآبة

الكآبة وردت في النص للتعبير عن التعارض بين أبنائها وأبناء المسرات (بين كآبتنا وسروركم عقبات)، واقترانها بالإيمان (ظل إله - الأنبياء) والفن (الشعراء - الموسيقيون) وهي مصدر خير ومعرفة. ويلى "الكآبة" من حيث التواتر الفعل (نبكى) فهو يتكرر خمس مرات. أن البكاء هو المظهر المرئي للكآبة المستنرة، وقد ورد مقترنا بالنحيب لتأكيد شدته. وإظهار علته، فسببه الجوهرى الأبعد هو انتماء أبناء الكآبة إلى عالم الروح الإلهي وابتعادهم بالتجسد عنه، وفي هذا تنازع بين الروح والمادة بين سجن وحرية الروح، أما سببه الأساسى الأدنى فمشاركة أبناء الكآبة للمتالمين فى آلامهم، وهى أنواع من فقدان زوج

وأب إلى حرمان من ضرورات عيش وعدالة حكم (نعاسة الأرملة - شقاء اليتيم - آفة الفقير - صراخ المظلوم). وتكرر الكلمة "دموع" ثلاث مرات والسياقات الثلاثة تدل تواليا على الألم المطهر، فالدموع ترمز إلى الألم، والنقاء مرادف الطهر. وانسكاب الدموع في قلب الحياة يفترض في هذا المقام، بلسمة الجراح، وتخفيف الألم، والدعوة إلى التفاعل والإيمان، فالحياة ذات مصدر الهى بل هى بعض من ذات الله.

وقد ورد ذكر الحزن في سياقيين: «نحن ذوو النفوس الحزينة، والحزن كبير لا تسعه النفوس الصغيرة».

ثلاث سياقات تدل على عوارض جسدية ترافق الكآبة والحزن، وهى: «نحن نتنهد ومع تنهداتنا يتصاعد همس الزهور وحفيف الغصون وخرير السواقي، وأنتم لا تعون صراخنا لأن ضجيج الأيام يملأ أذانكم».

ولكن جبران قرن أنفاس المتألمين بمظاهر الرقة في الطبيعة، وصراخ المكتئبين ناطه بغفلة أبناء المسرات لانشغالهم عن ألم الآخرين بصخب الدنيا: «نحن نبكى؛ لأننا نرى تعاسة الأرملة، وشقاء اليتيم، وأنتم تضحكون؛ لأنكم لا ترون غير لمعان الذهب، نحن نبكى لأننا نسمع آفة الفقير، وصراخ المظلوم، وأنتم تضحكون؛ لأنكم لا تسمعون سوى رنة الأقداح. نحن نبكى؛ لأن أرواحنا منفصلة بالأجساد عن الله، وأنتم تضحكون لأن أجسادكم تلتصق مرتاحة بالتراب. نحن أبناء الكآبة، وأنتم أبناء المسرات، فهلموا نضع مآتى كآبتنا، وأعمال مسراتكم أمام وجه الشمس».

حقل المسرات: يعارض الحقل المفهومى الأول (حقل الكآبة) لإظهار اختلاف أبنائها الشديد عن أبناء الكآبة تتكرر ست مرات. وتكرارها متعدد الوظيفة مقرونة بانعدام الوعى والفتنة، افتقاد الديمومة وسرعة الزوال (كأعمدة الدخان).

«أنتم بنيتم الأهرام من جماجم العبيد؛ والأهرام جالسة الآن على الرمال تحدث الأجيال عن خلودنا وفنائكم. ونحن هدمنا الباستيل بسواعد الأحرار، والباستيل لفظة ترددها الأمم؛ فتيار كنا وتلعنكم، أنتم رفعتهم حدائق بابل فوق هياكل الضعفاء، وأقمتم قصور نينوى فوق مدافن البؤساء، وها قد أصبحت بابل، ونينوى نظرى آثار أخفاف الإبل على رمال الصحراء، أما نحن فقد نحتنا تمثال عشتروت من الرخام، فجعلنا الرخام يرتعش جامدا، ويتكلم صامتاً، وضرنا النهوند على الأوتار، فاستحضرت الأوتار أرواح الحائمة فى الفضاء، ورسمنا مريم بالخطوط والألوان، فغدت الخطوط كأفكار الآلهة، والألوان كعواطف الملائكة.

أنتم تتبعون الملاهي، وأظافر الملاهي مزقت ألف ألف من الشهداء في مراسم رومية وأنطاكية. ونحن نلاحق السكينة، وأصابع السكينة نسجت الإلياذة وسفر أيوب والتائية الكبرى.

نحن أبناء الكآبة، وأنتم أولاد المسرات، وبين كآبتنا، وسروركم عقبات صعبة المسالك ضيقة المعابر لا تتجازها خيولكم المطهمة ولا تسير عليها مركباتكم الجميلة. نحن نشفق على صغاركم، وأنتم تكرهون نحن ندنو منكم كالأصدقاء، وأنتم تهاجموننا كالاعداء، وبين الصداقة، والعداوة هوة عميقة مملوءة بالدموع والدماء. نحن بنى لكم القصور، وأنتم تحفرون لنا القبور، وبين جمال القصر، وظلمة القبر تسرى الإنسانية بأقدام من حديد.

قد سمتم سقراط، ورجتم بولس، وقتلتم غليلو، وفتكتكم بعلى بن أبى طالب، وخنقتم مدحت باشا، وهؤلاء يحيون الآن كالأبطال الظافرين أمام وجه الأبدية، أما أنتم فتعيشون في ذاكرة الإنسانية كجثث فوق التراب لا تجد من يدفنها في ظلمة النسيان والعدم... نحن أبناء الكآبة، والكآبة غيوم تمطر العالم خرياً، ومعرفة، وأنتم أبناء المسرات ومهما تعالت مسراتكم فهي كأعمدة الدخان تهدمها الرياح وتبددها العناصر.

سياقات الضحك

يوازي الضحك ويتنوع اشتقاقه "المسرات" من حيث العدد. قد ورد في صيغة اسم الفاعل والفعل المضارع والمصدر. تركز سياقات الضحك على التناقض بين أبناء المسرات وأبناء الكآبة (نحن نبكى وننتحب/ أيها الضاحكون) واقتران ضحكهم بالقتل والأسر والبكاء (قهقهة ضحككم/ سحيق - قيود - عويل) وتبيان أسباب ضحكهم، وهى الاطمئنان إلى عالم المادة (أجسادكم تلتصق مرتاحة بالتراب) وانحسار الرؤية (لا ترون) وانحصار السمع (لا تسمعون) وعدم الاهتمام إلّا بالمال (غير لمعان الذهب) والسكر (سوى رنة الاقداح). ضمير "أنتم" ستة وعشرون.

الوظيفة الايعازية

الوظيفة الايعازية يرجع إلى الموقعية الاولى التى خصّ بها جبران أبناء الكآبة حين صدر معظم المقاطع بالضمير "نحن" ولم يفرد لضمير جمع المخاطبين سوى أربعة مطالع، والرؤية الجبرانية التى نظرت إلى أبناء الكآبة نظرة تأييد، وقفت من أبناء المسرات

موقف تنفيذ. إن جبران أوعز إلى القارئ بأن أبناء الكآبة يفضلون أبناء المسرات، وبذلك جاءت الوظيفة الايعازية امتدادا لقدرة جبران على اقناع القارئ بوجهة نظره.

أبناء المسرات؟ أبناء الكآبة؟

الاستغراق في المادة

النزعة المادية الدنيوية في تاريخ الحضارة الانسانية

هم غافلون تخلو قلوبهم من أى عاطفة نبيلة

لا يهتمون إلا بمظاهر الثراء

تاريخهم بكامله هو تاريخ العنف والحرب والقتل وإراقة الدماء

كان موقفهم من أبناء الكآبة موقف التجاهل

موقف الكراهية، موقف العداء، موقف الإيلام موقف الإفناء، انتسابهم إلى عالم الروح(الله)

الكآبة "ظل الله"

يعطفون على المعذبين فى الأرض

يؤثرون السكينة والوحدة

هم المبدعون(الجمال)

هم بناء الحضارة الحقيقيون

ال عمران والفلسفة والإيمان والعلم والحرية والأدب والفن من إنجاز أبناء الكآبة

المسيح، على بن ابى طالب، سقراط و ...

سفر أيوب، رباعيات خيام، نكبة البرامكة

من هم أبناء الكآبة؟

إن الانتساب إلى عالم الروح، أى إلى الله، هو الركن الأساس فى تحديد هوية أبناء الكآبة، وهذا ما أشار إليه جبران منذ بداية مقالته إذ اعتبر الكآبة "ظل الله" ثم علل الكآبة بالتجسد، فالأرواح التى كانت متحدًا بالله فى عالم الروح انفصلت عنه عندما تجسدت فى عالم المادة، وهذا ما هو سبب كآبتها، هذا هو سبب الكآبة الجوهرى نحن نبكى لأن أرواحنا منفصلة بالأجساد عن الله.

جعل جبران الأنبياء والشعراء والموسيقيين فى مرتبة واحدة، وقد يبدو إدراجهم فى هذه المرتبة مصطنعا، فالنبوة يغلب عليها الطابع الدينى فى حين ينتمى الشعر

والموسيقى إلى الفن. إن جبران لا يميّز النبوة من الشعر والموسيقى، فالنبي والشاعر والموسيقى ينتمون إلى عالم الروح ومنه يتلقون الوحي. ورسالتهم في هذا العالم هي هداية الناس إلى ما يريد الله منهم. إن عمل النبي والشاعر والموسيقى في هذا العالم هو عمل إلهي، ولذا يكثر في مقالة جبران ذكر الآلهة والملائكة.

عالم الروح كمصدر من مصادر الوحي في فن الموسيقى القائم على المحبة وضربنا النهاوند على الأوتار فاستحضرت الأوتار أرواح المحبيين الحائمة في الفضاء.

تظهر المعرفة المستمدة من عالم الروح بوساطة الخيال المنطلق في قوله: «نحن نرافق الخيال وأيدي الخيال أنزلت المعرفة من دائرة النور الأعلى».

والكآبة لا تفترض موقفا من عالم الروح فحسب، فهي تقتضى أيضا موقفا من الإنسان في هذه الدنيا.

أبناء الكآبة يعطفون على المعذبين في الأرض: نحن نبكى ...
أبناء الكآبة ينفرون من الغنى المستغل والحاكم الظالم وكل من لا يبالي بتعاسة الآخرين وشقائهم.

أبناء الكآبة متلون بالطبيعة، يستلهمونها في أعمالهم، ويحاكون ما يتصاعد فيها من أصوات: «نحن نتنهد ...»
يؤثرون السكينة والوحدة «نحن نلاحق السكينة»
إن أبناء الكآبة هم المبدعون، مبدعو الجمال نحتا
نظرة جبران إلى أبناء الكآبة هي في حقيقة الأمر نظرة إلى تاريخ الانسانية بل إلى الحضارة الإنسانية برمتها.

أبناء الكآبة هم بناء الحضارة الحقيقيون: فالضعفاء هم الذين رفعوا حدائق بابل. والبؤساء هم الذين شيّدوا قصور نينوى.

والعبيد هم الذين بنوا الأهرام
سقراط أسس الفلسفة فأعدمه بالسّم حكام أثينا.

المسيح نصر الروح فصلبه اليهود.

شهداء المسيحية ثبتوا الايمان بدمهم في روما وأنطاكية وهكذا فعل بولس الرسول إذا رجم.

وعلى بن أبيطالب اذا اغتيل.

الثوار في فرنسا هم محررو الشعب ومدحت باشا، أبو الأحرار، سجن ومات خنقا في تركيا.

غليلو طور العلوم فاضطهدته الكنيسة. يضاف إلى ذلك إبداع المبدعين فى الأدب:
هوميروس ودانتى فى الشعر الملحمى. المعلقات فى الشعر الغنائى
التائية الكبرى لابن الفارض فى الشعر الصوفى
هملت لشكسبير فى المسرح
سفر أيوب فى الإيمان والتقوى
فسفر أيوب(من كتب التوراة يرمز إلى الخضوع لإرادة الله). كان عندى أجمل من مزامير
داود، ومراتى أرميا(أحد أنبياء إسرائيل) كانت أحب لى من نشيد سليمان، ونكبة
البرامكة أشد وقعا فى نفسى من عظمة العباسين، وقصيدة ابن زريق أكثر تأثير من
رباعيات الخيام ورواية هملت أقرب إلى قلبى من كل ما كتب الإفرنج.
إن العمران والفلسفة والإيمان والعلم والحرية والأدب والفن من إنجاز أبناء الكآبة.
أبناء الكآبة يمثلون الخير المناهض للشر والكبر المتعالى على الصغار والطهر المنافى
للغهر. وهم أولو المعرفة النيرة والرؤية البصيرة، والسمع الرهيف.
إنهم الأحرار والمحزونون وهم المحبون السامون والأقوياء مع لين والجبابرة المنتصرون
من دون ازدهاء والأبطال الطافرون العظماء ولهم الخلود والأبدية لأنهم من تعاستهم
يقيمون الهداية(الظلمة المنيرة)...

من هم أبناء المسرات؟

مقابل روحانية أبناء الكآبة وحزنهم لانفصالهم بالجسد عن الله، نشاهد مادية أبناء
المسرات وفرحهم بالاستغراق فى المادة أنتم تضحكون لأن أجسادكم تلتصق مرتاحة
بالتراب.

يمثل أبناء المسرات النزعة المادية الدنيوية فى تاريخ الحضارة الانسانية.
أبناء المسرات: غارقون فى شوؤن الدنيا "سائرون بسرعة مع تيار نهر الحياة" و"ضجيج
الأيام يملأ أذانكم" ...
هم غافلون تخلو قلوبهم من أى عاطفة نبيلة: "تضعون قلوبكم بين ...
تفتقر نفوسهم إلى المعرفة: ترتاحون بقرب الجهالة
إنهم لاهون: "من جوانب أفواهكم المبتسمة تنهرق السخرية"
لا يهتمون إلا بالمال والخمرة "لا ترون غير لمعان الذهب"
لا يهتمون إلا بمظاهر الثراء: لا تجتازها خيولكم المطهمة ...
وهم عبيد شهواتهم يفسدون بها النساء: تضاجعون الشهوات وعواطف الشهوات جرفت
ألف موكب من أرواح النساء...

أبناء المسرات اهتموا بالعمران: "فسعوا إلى بناء الأهرام للحفاظ على خلودهم بعد الموت، ودعوا إلى رفع الحدائق المعلقة وتشبيد القصور لرفاهيتهم. ولكن من حقق هذا العمران؟ إنهم العبيد والضعفاء والبؤساء. لقد استغلوا أبناء الكآبة لتحقيق مآربهم، وإن تاريخهم بكامله هو تاريخ العنف والحرب والقتل وإراقة الدماء: "فهقهة ضحككم تمتزج بسحيق الجماجم وحرثقة القيود"

أبناء المسرات كان موقفهم من أبناء الكآبة موقف التجاهل: "لا تعرفوننا"، "لا تلتفتون نحونا، لا تعون صراخنا"

أبناء المسرات كان موقفهم من أبناء الكآبة موقف الكراهية: "تكرهون عظمتنا"

أبناء المسرات كان موقفهم من أبناء الكآبة موقف العداوة: "أنتم تهاجوننا كالأعداء"

أبناء المسرات كان موقفهم من أبناء الكآبة موقف الإيلام: "أنتم تغمرون مضاجعنا بالأشواك"

أبناء المسرات كان موقفهم من أبناء الكآبة موقف الإفناء: "تحفرون لنا القبور"

الطباقي: نحن نراكم لأنكم واقفون في النور المظلم

أما أنتم فلا تروننا لأننا جالسون في الظلمة المنيرة

نحن نبكي لأننا أرواحنا منفصلة بالأجساد عن الله

نتيجة البحث

جبران علما بارزا من أعلام الأدب العربي وعلى الرغم من مرور أربعة وثمانين عاما من وفاته مازال اسمه حيا ومكانته محفوظة بين الشرق والغرب. هذا الأديب العبقرى قد لعب دوراً أساسياً في تغيير اللغة والأساليب الشعرية العربية. جبران في آثاره يميل إلى التفاصيل والجزئيات وهذه من ميزات الفكر التحليلي. ونلاحظ في هذه المجموعه إن الكآبة في رأى جبران ناجمة عن الألم ولكنه ألم مبدع خلّاق وتتصف بالتأمل والمراقبة. في الواقع جبران في نثره أكثر شاعر في شعره المنظوم وجبران الناثر أصدق تعبيراً من جبران الشاعر. وأخيراً نستطيع أن نصف هو في لحظة حديث، كلاسيكى وواقعى وصوفى وثورى وشاعر ومصلح اجتماعى.

المصادر والمراجع

- البيستاني، بطرس. ١٩٨٥م، **روائع الأدب**، بيروت: دارالفكر.
- أنطوان غطاس، كرم. ١٩٨٧م، **محاضرات في جبران خليل جبران**، بيروت: دار الجيل.
- أيوب، نبيل. ٢٠٠٦م، **السراج في الأدب**، بيروت: دار المكتبة الأهلية.
- بولس، متري. ٢٠٠١م، **روائع الادب**، بيروت: دار الفكر.
- جرداق، جورج. ٢٠١٠م، **الإمام على صوت العدالة الإنسانية**، بيروت: دار الاندلس.
- خليل جبران، جبران. ٢٠٠١م، **الأجنحة المتكسرة**، بيروت: سلسلة إحياء التراث العربي.
- خليل جبران، جبران. ٢٠٠٣م، **المجموعة الكاملة لمؤلفات**، بيروت: دار الهدى للنشر.
- شكور، جورج. ٢٠٠٨م، **الأدب الحديث**، بيروت: دار الفارابي.
- نعيمة، ميخائيل. ١٩٩٥م، **المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران العربية**، بيروت: دار الفارابي.
- يازجي، حليم. ١٩٨٤م، **مائة عام على ميلاد جبران**، بيروت: النادي الثقافي العربي.